ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society Sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 15 / العدد: 03 / السنة: 2026 / ص ص: 42 -68

التنشئة القيمية في الأسرة الجزائرية بين سلطة الأبوة وسلطة المؤثر الرقمي

Value socialization in the Algerian family between paternal authority and digital influencer authority

تاريخ الإرسال: 2026/06/13 تاريخ القبول: 2026/06/24 تاريخ النشر: 11 /2026/10

جمال الدين رقيق برة[1]، سعيدة صغير بيرم [2]

[1] جامعة بسكرة،الجزائر، *EMAIL:* djameleddine.reguigberra@univ-biskra.dz
https://orcid.org/0009-0000-8859-8294

[2] جامعة بسكرة،الجزائر، *EMAIL:*saida.seghirbirem@univ-biskra.dz
https://orcid.org/0009-0002-6792-9722

الملخص

تتناول هذه الدراسة أزمة التنشئة القيمية في الأسرة الجزائرية المعاصرة من خلال التنافس بين سلطة الأبوة الموروثة والمؤثر الرقمي الصاعد، منطلقة من فرضية أن ما تشهده الأسرة ليس انهيارا للقيم بل إعادة تشكيل لها ضمن علاقات قوة متحولة. وتعتمد مقاربة سوسيو-تربوية نقدية تجمع بين التحليل الفوكوي للسلطة وسوسيولوجيا بورديو وفكر هونيث وموران. وتخلص إلى أن المؤثر الرقمي لا يصنع الأزمة من العدم بل يكشف ثغرات بنيوية في التنشئة الأسرية، مقترحة مشروعا تربويا مركبا يرتكز على الاعتراف والحوار والتفكير المركب.

الكلمات المفتاحية التنشئة القيمية، السلطة الأبوية،المؤثر الرقمي،الاعتراف، الهابيتوس،التفكير المركب.

المؤلف المرسل: جمال الدين رقيق برة، **الإيميل:** djameleddine.reguigberra@univ-biskra.dz

Abstract:

This study examines the crisis of value socialization within the contemporary Algerian family through the competition between inherited parental authority and the rising influence of digital influencers. Drawing on Foucault, Bourdieu, Honneth, and Morin, it argues that digital influencers do not create the crisis ex nihilo but rather expose structural gaps in family upbringing, proposing a complex educational project grounded in recognition, dialogue, and complex thinking.

Keywords: Value socialization; Parental authority; Digital influencer; Recognition; Habitus; Complex thinking.in recognized

1. مقدمة:

تطرح الأسرة الجزائرية المعاصرة على الباحث في علم الاجتماع التربوي إشكالا مزدوجا، يتعلق أحد شقيه ببنية الأسرة التي عرفت في غضون جيل واحد تحولات لم يشهد المجتمع الجزائري مثيلا لها، ويتصل وجهه الآخر بطبيعة القيم التي تنقل داخلها وبالطريقة التي تنقل بها. فلم يعد الحديث عن التنشئة الأسرية في الجزائر يحتمل اختزاله في ثنائية بسيطة بين تقليد في طور التراجع وحداثة في طور الاكتساح، إذ إن ما يجري داخل البيوت اليوم يتجاوز هذه الثنائية ليعيد طرح السؤال الجوهري حول من يربي من، وباسم أية منظومة من القيم، وضمن أية علاقات قوة. وقد بيّن غاستون باشلار أنّ «معرفة الواقع نور يلقي دائماً في مكان ما بظلاله، وهي لا تكون أبداً فورية وكاملة» (Bachelard, 1934) ، وهو ما يستدعي في تناول أزمة التنشئة الأسرية الجزائرية تجاوز الانطباع المباشر والقطع مع المعرفة العامية؛ ذلك أن الوعي يميل إلى تبنّي التفسيرات التي تؤكد ما يعتقده سلفاً أكثر مما يميل إلى مساءلتها نقدياً، الأمر الذي يحجب الشروط الإبستمولوجية والاجتماعية

التي تتشكل داخلها الأزمة ذاتها. ومن هذا المنطلق، فإنّ بناء معرفة علمية رصينة بظاهرة التنشئة يستلزم قطيعة إبستمولوجية مع التفسيرات الأخلاقية التبسيطية التي تختزل الأزمة في «انهيار القيم»، وانتقالاً إلى تحليل بنيوي يفكّك علاقات القوة ومنظومات الاعتراف وأنماط التواصل التي تتشكّل داخلها هذه القيم.

وقد دخل على خط هذا السؤال فاعل تربوي جديد لم يكن حاضرا في المعادلة الأسرية الكلاسيكية: المؤثر الرقمي، الذي ينافس الأب على عقل الطفل ووجدانه من داخل الفضاء البيتي ذاته، والخطورة أن هذه المنافسة لا تجري على مستوى المحتوى القيمي وحده، بل تطال منظومة المكافأة النفسية ذاتها، إذ يختطف الفضاء الرقمي الدوبامين فيجعل الطفل عاجزاً عن الاستجابة لأي مصدر آخر للتحفيز والمعنى، بما في ذلك صوت الأب.

تكشف الدراسة علي شريف ومرزقلال أن الأسرة الجزائرية تعرف فجوة حقيقية بين منظومة القيم والمعايير التي تتبناها فلسفة الحياة، وما يتجلى فعليا من سلوكيات وتصرفات في الواقع المعيش (علي شريف ومرزقلال، 2020). ويزداد هذا الوضع تعقيدا حين نستحضر حجم الاختراق الرقمي الذي أعاد رسم خرائط التواصل داخل الفضاء البيتي، إذ بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في الجزائر نحو 33.49 مليون مستخدم في مطلع عام 2024، فيما وصل عدد المنخرطين في شبكات التواصل الاجتماعي إلى 24.85 مليون مستخدم نشط .(Kemp, 2024) وهذه الأرقام لا تقرأ بوصفها مؤشراً كمياً مجرداً، بل بوصفها ترجمة سوسيولوجية لواقع معيش داخل كل بيت: طفل مشدود إلى شاشة، وأب يجد نفسه أمام فاعل تربوي لا يشبه أي منافس عرفه من قبل، وهو ما يختزن تحولاً عميقاً في طبيعة الفاعلين التربويين وفي طبيعة الخطابات المتنافسة على التنشئة القيمية.

ولا يمكن قراءة ما يجري داخل الأسرة الجزائرية بمعزل عن السياق الكوكبي الذي تنتمي إليه، ولا بمعزل عن البنى الثقافية الموروثة التي لا تزال تشتغل في الأجساد والممارسات. فالأسرة الجزائرية تحتفظ بثقافة بطريركية تتجلى في مواقف الأفراد ورموزها المرتبطة بالنسب والشرف والحياء، غير أنها لم تعد غاية في حد ذاتها، بل تتعايش مع

منظومات قيمية وافدة دون أن يتم بينهما تركيب نظري أو عملي واضح(Henane, 2022) ، ويمكن هنا استحضار ما طرحه بورديو وصياد في دراستهما حول ظاهرة «الاقتلاع » (Déracinement)، حيث أظهرا أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي مست الريف الجزائري أدت إلى تراجع الأطر التقليدية للحياة وإعادة تشكيل سلّم القيم، مع بقاء بعض التصورات والممارسات الموروثة فاعلة رغم فقدان شروطها الأصلية، بما يعكس حالة من التوتر بين الاستمرار والتغير داخل البنية الاجتماعية (بورديو وصياد، 2023). ومن ثم يمكن فهم كثير من التوترات التي تعرفها الأسرة الجزائرية المعاصرة بوصفها نتاجًا لتعايش مرجعيات ثقافية متباينة داخل الفضاء الاجتماعي نفسه. وما يعقّد المسألة أكثر أن هذا التعايش لا يجري بوعي نقدي، بل في الغالب بصمت، داخل ممارسات يومية لا يدرك أصحابها أنها تحمل توترات لم تحسم بعد.

وانطلاقاً من هذا التشابك المركّب بين الموروث والوافد، تطرح الدراسة سؤالها المركزي: كيف يمكن قراءة أزمة التنشئة القيمية داخل الأسرة الجزائرية اليوم بوصفها صراعاً بين سلطة الأبوّة وسلطة المؤثّر الرقمي؛ أي بوصفها أزمة في علاقات القوة، وفي آليات الاعتراف، وفي أنماط التفكير ذاتها؟ وما السبيل إلى تجاوز ثنائية التقليد والحداثة نحو مشروع تربوي مركّب يستجيب لتعقيد العصر؟

وتنطلق الدراسة من فرضية أن ما تعيشه الأسرة الجزائرية ليس انهيارا للقيم بقدر ما هو إعادة تشكيل لها داخل علاقات قوة متغيرة، تتقاطع فيها ثلاثة عوامل: تحوّل السلطة الأبوية من السيادة إلى التفاوض، وتصدّع آليات الاعتراف العاطفي، وظهور سلطة رقمية معيارية يجسدها المؤثر الرقمي. وتهدف الدراسة إلى تفكيك هذه البنية وتجاوز التفسيرات الأخلاقية التبسيطية، بالاعتماد على مقاربة سوسيو-تربوية نقدية تستند إلى فوكو وبورديو وهونيث وموران. مع الإفادة من المدخل الإبستمولوجي الباشلاري في نقد المعرفة العامية بوصفها عائقاً أمام فهم تحولات التنشئة.

وتنبني هذه المقاربة على افتراض إبستمولوجي مفاده أن «كل ثقافة علمية يجب أن تبدأ بتطهير فكري ووجداني [...] واستبدال المعرفة المغلقة والجامدة بمعرفة مفتوحة وديناميكية» (Bachelard, 1934)، وهو ما يقتضي في تحليل التنشئة الأسرية القطع مع التفسيرات الأخلاقية التبسيطية التي تختزل الأزمة في «انهيار القيم»، والانتقال إلى تحليل بنيوي يفكك علاقات القوة ومنظومات الاعتراف وأنماط التواصل التي تتشكل داخلها هذه القيم.

2. سلطة الأبوة: من نموذج السيادة إلى السلطة الانضباطية

1.2 السلطة بوصفها ممارسة متداولة لا ملكية ثابتة:

تحتاج قراءة تحولات السلطة الأبوية في الأسرة الجزائرية إلى التحرر من النماذج التحليلية الجاهزة التي تختزل السلطة في علاقة قمعية أحادية الاتجاه، إذ يطرح ميشيل فوكو سؤالاً مركزياً لا يزال يحتفظ براهنيّته: هل ينبغي تحليل هذه الصراعات باعتبارها تذبذبات الحرب؟ وهل يجب أن نقرأها من خلال شبكة الاستراتيجيا والتكتيك؟ وهل أن علاقات القوى في النظام السياسي هي في الأصل علاقات حرب؟(Foucault, 2003) .

ينقلنا هذا السؤال من تصور للسلطة بوصفها ملكية تمتلك أو حقّاً يمارس، إلى تصور آخر يجعل منها فعلاً متبادلاً ومتغيراً؛ فالسلطة عند فوكو ليست شيئاً يعطى أو يتبادل أو يسترد، بل هي شيء يمارس، ولا توجد إلّا في الفعل ذاته. وحين نسقط هذه القراءة على الفضاء الأسري الجزائري، نكتشف أن سلطة الأبوّة لم تعد مِلكية ثابتة بيد الأب، بل غدت موزعة ومتداولة، يخضع كل طرف فيها لمنطق علاقات قوة متحرّكة لا تستقر على حال؛ وهو ما مهّد بنيوياً لدخول المؤثّر الرقمي طرفاً في هذا التداول.

وقد أكّدت الدراسات الحديثة هذا التحوّل، إذ بيّنت أن الأب الجزائري انتقل من موقع المهيمن صاحب السلطة المطلقة على أبنائه إلى موقع الأب الديمقراطي الذي يضطلع بدور حارس المنظومة القيمية التقليدية والموروث الأخلاقي .(Lallem, 2021) ومع

ذلك، لا يعني هذا التحول أن الأب فقد كل سلطة؛ فالسلطة الرمزية لا تزال محفوظة له بقدر معتبر، غير أنّ السلطة الفعلية تشهد انزياحاً تدريجياً نحو فاعلين آخرين داخل المجال الأسري، سواء تعلق الأمر بالأم أو بالأبناء الذين يفرضون حضورهم بما يمتلكونه من موارد معرفية وعلاقات اجتماعية وكفاءات تقنية. ولا يرتبط هذا الانزياح بإعادة توزيع مواقع القوة داخل الأسرة فحسب، بل يتصل أيضاً بتحولات مست الحضور اليومي للأب ووظائفه التربوية ذاتها.

وانتقالاً من تحوّلات الموقع إلى تحوّلات الوظيفة وممّا يزيد هذا الوضع حدّة في السياق الجزائري تحديداً أنّ الأب الذي يتراجع دوره الفعلي كثيراً ما يكون غائباً عن بيته ساعات طويلة بسبب ضغوط العمل وأعباء الحياة المادية، الأمر الذي يخلّف فراغاً وجدانياً وتربوياً تتسع معه إمكانات تدخل فاعلين آخرين في عملية التنشئة. ويمكن تعميق هذه الملاحظة بالتمييز بين وظيفتين كثيراً ما تختلطان في الخطاب الوالدي السائد: «الإعاشة» بوصفها توفيراً للمأكل والملبس والتمدرس، و«الرعاية» بوصفها حماية للطفل في دينه وعقله وكرامته وقيمه، أي بوصفها الوظيفة الحمائية التي تشكل جوهر الفعل التربوي. فحين يختزل الأب دوره في الإعاشة ويغيب عن الرعاية، فإنه يحتفظ بمظهر السلطة أكثر مما يحتفظ بمضمونها، ويترك الوظيفة الحمائية شاغرة أمام فاعلين آخرين لا يخضعون لمنطقه التربوي ولا يتقاسمون معه المرجعية القيمية نفسها. ومن هذه الزاوية، لا تقاس سلطة الأب اليوم بما ينفقه على أبنائه بقدر ما تقاس بقدرته على توفير الحضور التربوي والوجداني الذي يحول دون تعرضهم للأذى الرمزي والمعياري.

غير أن المهم في هذا السياق ليس التحول في وظائف الأب فحسب، بل ما ترتب عليه من تغير في الكيفية التي تدرك بها السلطة الأبوية وتمارس داخل الأسرة. فالنموذج التقليدي كان يقوم على اعتراف شبه تلقائي بشرعية الأب بوصفه المرجع الأول وصاحب الكلمة النهائية، في حين أصبحت هذه الشرعية في السياق المعاصر موضوعاً للتفاوض المستمر وإعادة الاختبار اليومي. ولم يعد كافياً أن يكون الأب أباً حتى يطاع، بل صار

مطالباً بتبرير قراراته وإقناع أبنائه بمشروعية توجيهاته، وهو ما جعل ممارسة السلطة أكثر تعقيداً وأكثر ارتباطاً بقدرات التواصل والإقناع.

ولعل من أبرز التحولات التي عرفتها الأسرة المعاصرة أن الأسلوب التربوي القائم على السلطة المحضة لم يعد يحقق الفاعلية نفسها، خاصة في التعامل مع فئة المراهقين، الأمر الذي دفع كثيراً من الآباء إلى تبني أساليب تقوم على الحوار والتفاوض وأحياناً على الإغراء التحفيزي .(Henane, 2022) غير أن هذا التحول لا يعني اختفاء السلطة، بل يدل على إعادة تشكيلها وفق آليات جديدة أكثر دقة وأقل ظهوراً، وهو ما يفتح المجال لاستحضار مفهوم السلطة الانضباطية عند فوكو.

2.2 السلطة الانضباطية والرقابة المعيارية داخل الفضاء البيتي:

إن الانتقال من سلطة السيادة إلى سلطة التفاوض لا يعني زوال السلطة، بل تحوّلها إلى ما يسميه فوكو بالسلطة الانضباطية، التي تعمل داخل الأسرة عبر المراقبة المستمرة والتطبيع التدريجي للسلوك، بدل الأمر المباشر والعقاب التقليدي.

وهنا تظهر مفارقة لافتة: فحيث كان السؤال التقليدي للأب هو «أين أنت؟»، أصبح السؤال الجديد «ماذا تفعل الآن؟»، وهو سؤال ينقلنا من منطق الفضاء المراقَب إلى منطق الفعل المراقَب (Snani, 2018). ويعني هذا أن منطق المراقبة لم يتراجع، بل تحوّل إلى أشكال رقمية جديدة تواكب الانتشار الكثيف للأجهزة داخل البيت. ولعل ما يفسر اشتداد القلق الوالدي ليس انهيار سلطة الأبوة كما يشاع، بل صعوبة هذه السلطة في إعادة تموضعها داخل بيئة لم تعد تستجيب لمنطقها القديم. على أنّ المراقبة وحدها، مهما تطوّرت أدواتها، قد تبقى أفقر أشكال الرعاية؛ فالرقابة الخانقة بلا حوار قد تدفع الطفل إلى احتراف الإخفاء بدل استبطان القاعدة، في حين أنّ المتابعة الذكية المقرونة بالثقة تظل أقدر على تحويل المعيار الخارجي إلى قناعة داخلية.

تتعمّق هذه القراءة حين نلاحظ أن ثقافة المحظور في الأسرة الجزائرية لا تزال فاعلة، وأنها تنتج لدى الأبناء سلوك رقابة ذاتية يهدف إلى التوافق مع المعايير التي تفرضها

البيئة الأسرية والمجتمعية (Boucherf, 2018). هذه الرقابة الذاتية هي بالضبط ما يصفه فوكو في تحليله للمجتمع المعياري، إذ ينتقل المتربّى من خضوع لقاعدة قانونية صادرة عن السلطة الأبوية، إلى خضوع لقاعدة طبيعية، أي لمعيار مستبطن (Foucault, 2003). ومن هذه الزاوية، يبدو أن انتقال الأسرة الجزائرية من نموذج السيادة إلى نموذج التفاوض لا يعني تراجعاً للسلطة، بل تحوّلها إلى صيغة معيارية أكثر مرونة، وأكثر إيلاماً في الآن ذاته، لأنها تجعل الفرد رقيب نفسه.

وفي خضم هذا التحوّل، برزت مؤسسات موازية للأسرة قلّصت من وظائفها بوصفها كياناً مقدّساً، مما أدى إلى اهتزاز الضوابط الأسرية وظهور تحولات سلوكية عدّها علي شريف ومرزقلال (2020) شكلاً من أشكال الانحراف السلوكي. غير أن فوكو يدعونا إلى الحذر من التفسير الأخلاقي البسيط الذي يردّ كل تحوّل سلوكي إلى انحراف؛ إذ إن ما يبدو انحرافاً من زاوية الخطاب الأبوي التقليدي قد يكون في الحقيقة تعبيراً عن إعادة تشكّل علاقات القوة داخل الفضاء الأسري، وصعود فاعلين جدد ينازعون الأسرة في بعض وظائفها التربوية والرمزية، وفي مقدمتهم المؤثر الرقمي الذي لم يكن حاضراً في المعادلة الأسرية التقليدية. ويتقاطع هذا التحذير مع ما طرحه باشلار حين أكّد أن «الرأي يفكر بطريقة سيئة؛ بل هو لا يفكر: إنه يترجم الحاجات إلى معارف. ولا يمكن تأسيس شيء على الرأي: ينبغي أولاً تدميره» (Bachelard, 1934)، فالخطاب الأخلاقي السائد حول «انحراف الشباب» يندرج في خانة الرأي الذي ينبغي القطع معه إبستمولوجياً قبل بناء أي تحليل علمي رصين لأزمة التنشئة.

وتكتمل قراءة هذا التحوّل حين ننتبه إلى البعد التاريخي للأزمة، فالأسرة الجزائرية تعيش مرحلة انتقالية تبحث فيها عن دورها، وتنشأ عن ذلك فجوة حقيقية بين القيم والعادات من جهة، والسلوكيات من جهة أخرى (بولحية، 2016). وفي هذا السياق، يقصد بسلطة الأبوّة تلك الآليات التربوية والرمزية التي تمارس من خلالها الأسرة وظائفها في الضبط والتنشئة، دون افتراض وجود نموذج جوهري ثابت للأبوّة داخل المجتمع الجزائري. ومن هذا المنظور، تبدو سلطة الأبوّة في السياق الجزائري في لحظة انتقالية بين نموذج

السيادة ونموذج الانضباط، تفقد فيها البنية التقليدية فاعليتها دون أن يكتمل تشكّل بنية بديلة، غير أن هذا التحوّل يكتسب في السياق الجزائري طابعاً أكثر تعقيداً، لأن السلطة الأبوية لم تكن تستمد شرعيتها من الموقع الاجتماعي وحده. بل من مرجعية دينية تجعل من طاعة الأب امتداداً لمنظومة قيمية إسلامية أشمل. فالتربية في جوهرها حفظ للفطرة الإنسانية وصون للمنظومة القيمية، غير أن هذه الفطرة أصبحت اليوم عرضة لاختراق رقمي متواصل يعيد تشكيل التصورات والمعايير من داخل الحياة اليومية، بما يفضي إلى تآكل المرجعيات التقليدية وإضعاف قدرتها على التوجيه. وإذا كان أسد قد عرّف الإسلام بوصفه تقليداً استدلالياً تتجدد فيه الممارسات والخطابات عبر الإحالة إلى نصوص مؤسسة (Asad, 1986) ، فإن أزمة سلطة الأبوة لا تقرأ فقط بوصفها أزمة موقع اجتماعي، بل بوصفها أزمة في التفاوض مع هذا التقليد الاستدلالي ذاته، إذ يجد الأب نفسه أمام أبناء يعرفون نصوص هذه المرجعية، لكنهم يعيدون تأويلها بطرق لا تتطابق دائماً مع قراءته التقليدية

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن السلطة في الأسرة الجزائرية لا تشتغل من المركز إلى الأطراف فحسب، بل تتداول بين أعضاء الأسرة بكيفية أفقية أيضاً. فالأم الجزائرية اليوم انخرطت في سوق العمل دون أن تتخلى عن دورها التقليدي في تربية الأبناء، وأصبح الأب يساهم أكثر من ذي قبل في هذه التربية، غير أن الأم لا تزال تعد المسؤولة الأولى عن التنشئة (Henane, 2022). وإذا كانت مقاربة ميشال فوكو قد كشفت عن تحولات السلطة الأبوية وآليات اشتغالها، فإن الانتقال إلى المستوى التحليلي الموالي يستدعي استحضار المقاربة السوسيولوجية التي طوّرها بيار بورديو، لما توفره من أدوات مفاهيمية، خاصة مفهومي الهابيتوس والعنف الرمزي، تسمح بالنفاذ إلى الآليات الخفية لنقل القيم داخل الفضاء الأسري، والتي تظل عصيّة على التحليل من زاوية علاقات القوة وحدها.

3. الهابيتوس والعنف الرمزي: كيف تنتقل القيم وكيف تتصدّع؟

1.3 الهابيتوس وآليات النقل المتجسّد للقيم:

تنقلنا المقاربة السوسيولوجية التي طوّرها بيار بورديو إلى مستوى تحليلي آخر، تتجلى فيه آليات نقل القيم بكيفية أعمق وأقل وضوحاً من علاقات السلطة المباشرة. فالقيم لا تنقل داخل الأسرة عبر الخطاب الواعي فحسب، بل عبر ما يسميه بيير بورديو الاستعدادات المتجسّدة، أي تلك المخططات التي تنتظم في الجسد وفي الإدراك دون أن يدركها الفاعل بوعي صريح. يقول بورديو «تبرير الضرورة شبه المعجزة التي كشف عنها التحليل، في غياب أية نية تنظيمية، كان لا بد من البحث في جهة الاستعدادات المتجسّدة، بل في جهة المخطط الجسدي، عن المبدأ المنظّم القادر على توجيه الممارسات بطريقة لاواعية ومنهجية في الآن ذاته» (Bourdieu, 1980) .

هذا المبدأ هو «الهابيتوس»، وهو ليس قانوناً يفرض من الخارج، ولا حرية مطلقة في الداخل، بل نظام مكتسب من المخططات المولدة. وحين نطبّق هذا المفهوم على الأسرة الجزائرية، نكتشف أن نقل القيم لا يتم عبر التلقين المباشر بقدر ما يتم عبر التكرار اليومي للممارسات، عبر الحركات والإيماءات وطريقة الحديث وشغل الفضاء البيتي. ولعل أبلغ مثال على ذلك ما لاحظه بورديو في دراسته للبيت القبائلي، حيث يتجسد التقابل بين الذكوري والأنثوي في طريقة حمل الجسد والتصرّف؛ فالفضيلة الأنثوية «لاحية» (الحياء) توجّه الجسد الأنثوي نحو الأسفل والداخل والبيت، فيما يتأكد الكمال الذكوري «النيف» في الحركة نحو الأعلى والخارج (Bourdieu, 1980).

تكتسب هذه الملاحظة أهميتها حين نضعها في سياق الأسرة الجزائرية اليوم، إذ تكشف الدراسات الميدانية أن الثقافة البطريركية لا تزال راسخة وإن فقدت بعض ملاءمتها السوسيولوجية في ظروف التحضّر (Henane, 2022). ويتعزز هذا التحليل بما ذهب إليه بورديو وصياد في مقال «ثفلاحث أو الفلاح الكامل»، حيث أظهرا أن إعادة توطين الفلاحين الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية أنتجت اقتلاعاً مزدوجاً: اقتلاعاً مادياً من الأرض، واقتلاعاً رمزياً من البنى الذهنية التي كانت تنظم العلاقة بالعالم (بورديو وصياد، 2023) وهو ما خلّف هابيتوساً مزدوجاً يحمل آثار البنية القديمة دون أن يستطيع إنتاج

شروطها الموضوعية. ويزداد هذا التعقيد حين ندرك أن الهابيتوس الجزائري لا يحمل طبقة ثقافية بطريركية واحدة، بل طبقتين متشابكتين: طبقة ثقافية قبلية موروثة، وطبقة دينية إسلامية تمتد عبر قرون من التنشئة المسجدية والعائلية. وقد بيّنت محمود أن الفاعلية الدينية لا تنفصل عن التجسيد والممارسة اليومية (Mahmood, 2005)، وهو ما يجعل التنشئة الدينية داخل الأسرة الجزائرية امتداداً طبيعياً لمنطق الهابيتوس لا تعارضاً معه. وحين تتصدّع هذه الطبقة الدينية، كثيراً ما يعيشها الفاعل بوصفها خسارة روحية تستدعي ردّ فعل دفاعياً أشد حدة من مجرد الدفاع عن العادة.

ولفهم آلية اشتغال الهابيتوس داخل الأسرة، لا بدّ من الإشارة إلى «المعرفة المتجسدة»، تلك المعرفة التي لا يمكن للفاعل أن يضعها أمامه بوصفها معرفة يمتلكها، بل هي ما يكوّن كيانه ذاته. فالقدم والذراع والصوت محمّلة بأوامر خامدة، وقد لا ينتهي المرء من تعداد القيم التي صارت جسداً عبر الإقناع الخفي لبيداغوجيا ضمنية (Bourdieu, 1980). هذه البيداغوجيا الضمنية تمارس داخل الأسرة الجزائرية بقدر ما تمارس داخل المدرسة، وربما أكثر، لأنها تشتغل قبل أن يلج الطفل عتبة المدرسة، وتستمر معه في كل لحظات حياته اليومية.

2.3 العنف الرمزي وأزمة السلطة البيداغوجية أمام المؤثر الرقمي:

وهنا نصل إلى مفهوم آخر بالغ الأهمية، وهو «الفعل البيداغوجي». فكل فعل بيداغوجي هو موضوعياً عنف رمزي، من حيث هو فرض، عبر سلطة تعسفية، لتعسف ثقافي (Bourdieu & Passeron, 1970). ولا يعني هذا أن العنف الرمزي شر يجب التخلّص منه، بل إنه شرط أساسي لكل تنشئة، إذ لا يمكن لأية أسرة أن تربّي دون أن تفرض على أطفالها رؤية معينة للعالم. غير أن الإشكال يبدأ حين تفقد الأسرة سلطتها البيداغوجية، أي قدرتها على فرض هذا التعسف بوصفه شرعياً.

تكتسب السلطة البيداغوجية شرعيتها من اعتراف الأطراف بها، وهو اعتراف لا يكون كلياً إلا حين يكون كلياً لاواعياً (Bourdieu & Passeron, 1970). ومن هنا تنبع الأزمة

الراهنة، إذ إن الفضاء الرقمي يضع كل سلطة بيداغوجية موضع تساؤل، ويجعل الطفل قادراً على المقارنة بين ما يقوله الأب وما يقوله المؤثر، فيتزعزع ما كان مفروضاً سابقاً بوصفه بديهية لا تناقش. وهنا تكمن خطورة سلطة المؤثر الرقمي على سلطة الأبوة: ليس في أنه يقدم محتوى مخالفاً، بل في أنه يحدث شرخاً في البنية اللاواعية التي كانت تجعل الاعتراف بالسلطة الأبوية تلقائياً.

وينظر عادة إلى أن النظرة الشائعة التي تنسب إلى وسائل الإعلام قدرة سحرية على التلاعب بعقول الناس قد فنّدها بورديو بحجة منهجية صارمة. فهذه الأفعال الرمزية لا يمكن أن تمارس إلا بالقدر الذي تلتقي فيه باستعدادات مسبقة فتعزّزها، إذ لا توجد قوة ذاتية للفكرة الصحيحة، ومن باب أولى ألا توجد قوة ذاتية للفكرة الكاذبة، حتى وإن كرّرت (Passeron, 1970 & Bourdieu). تكتسب هذه القراءة أهمية خاصة لأنها تعيد صياغة الإشكالية: فالمؤثر الرقمي لا يفهم بوصفه عاملًا «يفسد» الطفل من العدم، بل بوصفه عاملًا قد يتفاعل مع استعدادات سابقة لديه؛ وهي استعدادات قد لا تكون الأسرة قد دعمتها بما يكفي، أو تشكلت بطريقة تجعل الطفل أكثر قابلية للتأثر بالإغراءات الرقمية . ولعل من أبرز هذه الاستعدادات ما يمكن تسميته «الهشاشة التحفيزية»: فحين يعتاد دماغ الطفل على مكافآت رقمية فورية ومكثفة، قد يحدث نوع من إعادة ضبط لنظام التحفيز على عتبة إثارة مرتفعة، بما قد يضعف جاذبية بعض الأنشطة الواقعية. وعندئذ قد تنخفض الجاذبية التحفيزية للصلاة والدراسة والإنجاز والنظافة الشخصية مقارنةً بالمكافآت الرقمية الفورية على توليد الرضا بالقدر المعتاد. وتظهر مؤشرات هذا الاختلال التحفيزي في صور باتت متكررة في كثير من البيوت: اضطراب النوم بين الليل والنهار، وإرهاق مستمر، وتشتت في التركيز وتراجع دراسي، وفتور وجداني قد يصل إلى انخفاض التفاعل مع ما كان يبعث الفرح أو الحزن. وبهذا المعنى، يمكن النظر إلى رفض الطفل

للمدرسة أو إهماله للعبادة، في كثير من الحالات، لا باعتبارهما المشكلة الأصلية، بل بوصفهما عرضين محتملين لمشكلة أسبق تتصل باختلال منظومة المكافأة.

وتبين نتائج الدراسة أن استخدامات الإنترنت داخل الأسرة تمثّل في جوهرها وسائل تعبير وعلاقات قوة وكفاءات وتعلّم ومعرفة، لا مجرد أدوات للتواصل (Snani, 2018). فحين يقضي الطفل ساعات طويلة أمام شاشته، فإنه لا يستهلك محتوى فحسب بل يخضع لإعادة تشكيل هابيتوسه ، في تفاعل تنافسي وتكاملي مع دور الأسرة.

ولا يخفى أن التحول من النمط التقليدي إلى النمط الحديث في الأسرة الجزائرية حدث بكيفية متسارعة، إذ ارتفعت نسبة الأسر النووية من نحو 59% سنة 1966 إلى نحو 71% سنة 1998، وهو ما يعني أن الرابط الأسري لم يعد قرابياً بالمعنى الكلاسيكي بل أصبح زواجياً في جوهره (Lallem, 2021). غير أن هذا التحوّل البنيوي لم يصاحبه تحوّل مواز في الهابيتوس الموروث، مما خلق ما يمكن تسميته بـ«التشقق الهابيتوسي»، أي حالة الانفصام بين البنية الموضوعية للأسرة الحديثة، والبنية الذهنية والجسدية التي لا تزال تشتغل وفق منطق الأسرة الممتدة. وهذا التشقق هو ما يطلق عليه بورديو وصياد ظاهرة استمرار نماذج السلوك دون اشتراطاتها الأصلية (بورديو وصياد، 2023)، حيث يستمر الهابيتوس في إنتاج استجابات متلائمة مع شروط اجتماعية لم تعد قائمة، وهو ما يمكن وصفه بحالة شبيهة بالهلوسة الجماعية التي تعيشها الذوات المقتلعة من بنيتها الأصلية

ويظهر هذا التشقق بصورة لافتة في الفجوة بين خطاب الأب وممارسته. فالأب يدافع لفظياً عن قيم الانضباط والاحترام والتدين، لكنه في ممارسته اليومية قد ينتهك هذه القيم بصور دقيقة، مما يجعل الطفل ضحية رسالة مزدوجة. وقد لاحظ بورديو أن التعليم بالممارسة، لا بالخطاب، هو ما يصنع الهابيتوس فعلياً (Bourdieu, 1980). وأوضح تجليات هذه الرسالة المزدوجة اليوم مشهد الوالدين وهما يحذّران الطفل من الشاشة فيما أعينهما مشدودة إلى شاشتيهما؛ فالطفل الذي يتعلم بالملاحظة قبل التلقين

يقلّد ما يرى لا ما يسمع، ومن هنا، فإن أي خطاب تربوي لا يجد له تجسيداً في الممارسة اليومية محكوم عليه بالفشل أمام منافسة المؤثر الرقمي، مهما علت نبرته.

كما أن التحولات السوسيوتاريخية التي عاشتها الجزائر زادت من تعقيد هذا الوضع. فالاحتلال الفرنسي عمل على تفكيك النظام القبلي بتهميش زعماء القبائل وإحلال الملكية الفردية محل الملكية الجماعية، مما أفضى إلى ظهور نوع من الازدواجية الثقافية والاجتماعية أصابت الذات الجزائرية في عمق كيانها (علي شريف ومرزقلال، 2020). وعليه، يمكن القول إن الهابيتوس الجزائري الراهن نتاج طبقات متتالية من الصدمات التاريخية، بما يجعل اختزاله في صورة أحادية أمرًا غير دقيق إذا كشفت مقاربة بيير بورديو عن آليات نقل القيم وتصدّعها ، فإن سؤالًا يظل مطروحًا: لماذا ينجح المؤثر الرقمي حيث تتراجع فاعلية الأسرة؟ وهو سؤال يمكن مقاربته تحليليًا من خلال نظرية الاعتراف عند هونيث.

4. الاعتراف: لماذا ينتصر المؤثر الرقمي عاطفياً؟

1.4 أنماط الاعتراف وهشاشتها داخل الأسرة الجزائرية:

تقدّم نظرية الاعتراف عند أكسل هونيث منظوراً ثالثاً يستكمل التحليلين الفوكوي والبورديوي، ويضيف إليهما بعداً نفسياً اجتماعياً لا غنى عنه لفهم انجذاب الأبناء إلى سلطة المؤثر الرقمي. فالاعتراف عند هونيث ليس ترفاً نفسياً، بل شرط ضروري لتشكّل الهوية وللعلاقة الإيجابية بالذات. وقد ميّز هونيث ثلاثة أنماط للاعتراف: الحب، والحقوق، والتضامن، يقابلها ثلاثة أنماط من الاحتقار يمكن أن تلحق ضرراً بنزاهة الشخص (Honneth, 1995).

يتأسس الحب بوصفه أوّل نمط للاعتراف داخل الأسرة، إذ تفهم علاقات الحب بوصفها علاقات أولية تتأسس على نموذج علاقة الوالدين بالطفل، وتتكوّن من ارتباطات عاطفية قوية بين عدد محدود من الأشخاص .(Honneth, 1995) ومن خلال الخبرة المستمرة بالرعاية الوالدية، يكتسب الطفل ثقة أساسية تشكّل الشرط النفسي لمواقف

احترام الذات اللاحقة .ولعل هذا ما يجعل اللحظة الأسرية الأولى لحظة مؤسسة يصعب تعويضها لاحقا بأي مؤسسة أخرى.

غير أن الأسرة الجزائرية تقدّم، في هذا الباب، صورة معقّدة لا تخلو من توتر؛ إذ لا تتجسّد فيها دائمًا الأسرة الاندماجية بالمعنى الذي يحدده هونيث، حيث يكبح كثير من أشكال التعبير عن العاطفة والحب، مما قد يضعف لدى الطفل قدرة مشاركة مشاعره، فيأخذ التعبير العاطفي أشكالًا رمزية بديلة .(Lallem, 2021) وتكشف هذه الملاحظة عن جذر بنيوي للأزمة: فالطفل قد يتلقى الحب الأسري، دون أن يتلقى دائما التعبير الصريح عنه، وهو ما قد يجعله أكثر هشاشة أمام أشكال الاعتراف البديلة التي يقدمها المؤثر الرقمي.

وفي الفضاء الرقمي، تتلقى الذات اعترافا سريعا ومكثفا عبر الإعجابات والمتابعات والتعليقات؛ وهو اعتراف، وإن كان في كثير من الأحيان سطحيا وعابرا، قد يلبي حاجة عاطفية لم تجد استجابة كافية داخل الأسرة. ومن ثم، يمكن فهم انجذاب المراهق الجزائري إلى المؤثر الرقمي لا بوصفه قرارًا واعيًا بالتخلي عن قيم الأسرة، بل بوصفه استجابة لحاجة الاعتراف غير المشبعة بالقدر الكافي. كما يبيّن البحث الميداني أن الشباب يعملون على تنظيم تمثلاتهم لمختلف الحقول الاجتماعية التي يطمحون إلى اكتساب مكانة ودور فيها؛ أي إلى نيل الاعتراف وبناء هوية اجتماعية في نهاية المطاف .(Boucherf, 2018)

2.4 الاحتقار الاجتماعي والصراع من أجل الاعتراف:

وتتسع دائرة الاحتقار حين ينتقل الطفل من الأسرة إلى المجتمع، فيكتشف أن نمط حياته العائلي قد يكون موضوعاً للتحقير الثقافي، إذ يحرم تحقير أنماط الحياة الفردية أو الجماعية الأفراد المعنيين من كل فرصة لإسناد قيمة اجتماعية لقدراتهم (,Honneth 1995). وحين يقارن المراهق الجزائري نمط حياة أسرته بالنمط الذي يقدّمه المحتوى الرقمي العالمي، قد يجد نفسه أمام تراتبية رمزية ضمنية تضع ما ورثه في موقع أدنى، بما

قد ينعكس في تراجع احترام الذات الجماعية ونزوعٍ إلى الانفصال الرمزي عن الانتماء الأصلي.

تترجم هذه الحالة في الواقع الجزائري إلى ظواهر اجتماعية محددة، حيث يفكر الشباب الأصغر سناً في الهجرة بوصفها مخرجاً من صعوبات شق طريقهم داخل المجتمع. (Boucherf, 2018). والهجرة هنا ليست مجرد بحث عن فرصة اقتصادية، بل بحث عن اعتراف لم يجده الشاب في المجتمع المحلي. وقد أكّد هونيث أن تجربة الاحتقار يمكن أن تصبح المحرّك التحفيزي للصراع من أجل الاعتراف (Honneth, 1995)، وهو ما يتجلى في صور متعددة، من التمرد المنزلي إلى الانخراط في الفضاء الرقمي إلى التفكير في الهجرة.

ويلتقي هذا التحليل مع ما يطرحه فوكو حول الحقيقة والسلطة، إذ يؤكد أن علاقات السلطة لا تنفصل عن خطاب الحقيقة، ولا يمكنها أن تتأسس أو تشتغل ما لم ينتج خطاب حقيقي ويوضع في التداول (Foucault, 2003). وفي السياق الأسري، ينتج كل من الأب والمؤثر الرقمي خطابًا يرسخ من خلاله سلطته. وإذا كان الأب يحتكر هذه المكانة في النموذج التقليدي، فإنه يتقاسمها اليوم مع الخطابات الرقمية التي تنافسه في التأثير وتوجيه الإدراك

ومن المهم التنبيه إلى أن الصراع من أجل الاعتراف يختلف اختلافاً جوهرياً عن الصراع على المصالح. فالأول يقوم على تجربة أخلاقية لدى فئات تواجه حجب الاعتراف، إذ نتعامل مع صراع حول الشروط الذاتية المشتركة للنزاهة الشخصية (Honneth, 1995). وهذا ما يجعل ما يجري داخل الأسرة الجزائرية أعمق من مجرد صراع أجيال؛ فهو صراع حول الشروط الذاتية التي يستطيع الطفل من خلالها أن يبني علاقة سويّة بذاته.

وحين نضع هذا التحليل في إطاره الجزائري، نجد أن الواقع الأسري يعرف هشاشة في كل مستويات الاعتراف الثلاثة: فعلى مستوى الحب، تتراجع الكثافة العاطفية التعبيرية لصالح كثافة عاطفية صامتة. وعلى مستوى الحقوق، يعاني الأبناء، خاصة الإناث، من تفاوت في الاعتراف بحقوقهم داخل الفضاء الأسري. وعلى مستوى التضامن، تتراجع قدرة

الأسرة على تثمين الإنجازات الفردية لأبنائها، فيلجأ هؤلاء إلى الفضاء الرقمي بحثاً عن تثمين بديل يقدّمه المؤثر وجمهوره بسخاء ظاهري.

5. سلطة المؤثر الرقمي وأزمة التواصل بين الأجيال

1.5 الهوّة الجيلية واللغوية و انكسار الفعل التواصلي:

تتقاطع المحاور السابقة في نقطة حساسة هي أزمة التواصل داخل الأسرة الجزائرية، وهي أزمة لا يمكن اختزالها في صعوبة الحوار، بل تمتد لتطال البنى ذاتها التي يقوم عليها الفعل التواصلي. ومن أبرز تجليات هذه الأزمة، حضور هوّة جيلية ينتمي فيها الأبناء إلى عالم لغوي وتقني مختلف تماماً عن عالم الآباء. فوجود فجوة جيلية مع أطفال يتقنون الأدوات الرقمية، دون أن يمتلكوا المسافة الكافية للحكم عليها، يحدث سوء فهم ويستدعي أشكالاً جديدة من التبادل (Snani, 2018).

وفي هذا الفضاء المتوتر، يتحوّل الكلام الوالدي إلى مونولوج لا إلى حوار، ويفقد جزءاً من قدرته على إنتاج المعنى المشترك. وقد بيّن بورديو وباسرون أن الأستاذ، البعيد وغير القابل للمس، محكوم عليه بالمونولوج المسرحي بسبب ضرورة موقعية أكثر إكراهاً من أي تنظيم (Bourdieu & Passeron, 1970). وما يصدق على الأستاذ يصدق على الأب، فيتحول خطابه إلى إلقاء لا ينتظر جواباً، ما يؤدي إلى تراجع اهتمام المتلقي تدريجياً. ومع ذلك، كان الأب قادرًا على إرجاع سوء الفهم إلى الأبناء ما دامت سلطته محفوظة. غير أن هذا التوازن الهش يتعرض اليوم للاهتزاز بفعل الفضاء الرقمي، حيث يقارن الابن خطاب الأب بخطاب المؤثر، فتتضح الفجوة بينهما.

وعلى الصعيد اللغوي، تنشأ هوّة بين لغة الأب التقليدية، التي تستحضر المرجعيات الدينية والأخلاقية، ولغة المؤثر الرقمية، التي تتميز بالقصر والمباشرة والمرح والسخرية. ولاحظ بورديو أن المسافة المحترمة والعفوية المتكلفة تعارضان التعبيرية واللغة الشعبية (Bourdieu & Passeron, 1970). ففي الأسرة الجزائرية، يتحدث الأب بـ«مسافة مهذبة» تنتمي إلى أدب الكبار، في حين يتحدث المؤثر الرقمي بـ«تعبيرية» قريبة

من لغة الشارع التي يستهلكها الطفل، فتنشأ فجوة لغوية حقيقية تنعكس على فجوة قيمية.

2.5 الصمت الأسري والثرثرة الرقمية: جدلية الحضوروالغياب:

ولا يقتصر سوء الفهم على الأسرة الجزائرية، بل هو ظاهرة إنسانية عامة، إذ يمتد من العلاقة بين الفرد وذاته إلى علاقته بالآخرين، ويظهر داخل الأسرة بين الآباء والأبناء. ومع ذلك فإن الفهم الإنساني لا يدرس، رغم أن سوء الفهم يسبب سلوكيات غير عقلانية ويؤدي إلى القطيعة والإهانات والآلام (Morin, 2014). وما يؤكده موران ينطبق بصورة دقيقة على الأسرة الجزائرية، إذ تكتفي بنقل المعارف والقيم دون أن تتوقف عند تعليم الفهم ذاته.

وإذا كانت الأسرة الجزائرية تواجه أزمة في التواصل، فإن من أهم أسبابها احتفاظ الأب بسلطة رمزية معتبرة، فيما تنزاح السلطة الفعلية لصالح الأم أو لصالح ابن متميّز (Lallem, 2021). وهذا الانفصال بين السلطة الرمزية والسلطة الفعلية يخلق وضعاً يصعب فيه تموضع الفاعلين. ويتعمق الإشكال حين نتذكر أن الأسرة الجزائرية تنتمي إلى مجتمعات تميل إلى الحدّ من بعض الموضوعات الحساسة في الحديث بين أفرادها، فيقوم حول هذه الموضوعات نوع من الصمت يفضل تجاهله (Boucherf, 2018).

هذا الصمت ليس فراغاً، بل هو لحظة من العنف الرمزي الناعم الذي يربك التواصل دون أن يظهره. فالموضوعات التي يمتنع الكلام فيها، خاصة ما يتعلق بالعلاقات العاطفية والجسد والمستقبل المهني والاختيارات الفردية، هي ذاتها الموضوعات التي يجد فيها المراهق الجزائري ملاذه عند المؤثر الرقمي. ومن هنا، تنشأ علاقة جدلية بين الصمت داخل الأسرة، والثرثرة في الفضاء الرقمي، علاقة لا يمكن فهم أي طرف منها بمعزل عن الآخر.

وتلتقي هذه القراءة مع ما خلص إليه البحث، الذي أكد أن انخراط الشباب في العوالم الرقمية والمجتمعات الافتراضية أعاد تشكيل علاقتهم بمختلف مكونات الواقع

الحقيقي ومؤسسات المجتمع (محبوبي وبلعادي، 2023). ولا يعني هذا أن الفضاء الرقمي يلغي الفضاء الواقعي، بل يعيد تشكيله. والمراهق الذي يقضي ساعات أمام شاشته لا يهجر أسرته، لكنه يعيد تعريف مكانتها في حياته. وعلى الرغم من ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الخطاب الذي يصف التكنولوجيا بأنها «مقبرة العلاقات الاجتماعية» يتضمّن مغالطات تحليلية ينبغي تجنّبها (محبوبي وبلعادي، 2023). فسلطة المؤثر الرقمي ليست سبباً مباشراً لأزمة الأسرة، بل هي مكشاف لأزمة أعمق تتعلق بهشاشة بنية التنشئة ذاتها. وما لم يكن الفضاء الأسري قادراً على نقل القيم بطريقة معاصرة، فإن المؤثر الرقمي سيشغل تلقائياً المساحة التي يتركها هذا العجز.

وفي ظل هذا التحوّل، يصبح من الضروري التساؤل عن طبيعة الفعل التواصلي ذاته. فالتواصل الإنساني يحقق أهدافه عندما يكون هناك فهم صحيح للإنسان في حد ذاته، فهم لمكوناته وأبعاده، دون فصل أو اختزال. وتقوم الطبيعة الأخلاقية للتواصل على إدراك أن الرسائل التواصلية ليست بالضرورة بريئة، فبقدر ما يكون التواصل أداة للتفاهم، يمكنه أيضاً أن يكون أداة للصراع والخصام (هابرماس، 2010). وفي هذا الإطار، تحتاج أخلاقيات التواصل داخل الأسرة الجزائرية إلى إعادة تأسيس على قاعدة الاعتراف المتبادل لا على قاعدة الفرض الأحادي. فالأب الذي يطلب من ابنه أن يصغي إليه دون أن يصغي هو إلى ابنه، يمارس عنفاً تواصلياً يدفع الابن إلى الانكفاء أو إلى البحث عن منصات استماع بديلة.

ولعل ما يضاعف من حدّة هذه الأزمة أن المؤثر الرقمي يقدّم نمطاً جديداً من السلطة لا يشبه السلطة الأبوية ولا السلطة المدرسية. ففي حين كانت السلطة التقليدية تعتمد على المسافة والمهابة، تعتمد سلطة المؤثر على القرب والألفة؛ فهو يخاطب الطفل بضمير المخاطب، ويشركه في تفاصيله اليومية، ويوهمه بأنه يعرفه فرداً فرداً. هذه السلطة الجديدة لا تطلب الاحترام بل الإعجاب، ولا تفرض الطاعة بل تستدعي المحاكاة. وأمام هذا التشخيص المركّب لأزمة التنشئة القيمية، يغدو من الضروري تجاوز منطق

التشخيص إلى منطق البناء، وصياغة مشروع تربوي يستوعب هذا التعقيد بدل الهروب منه.

6. نحو مشروع تربوي مركّب يستوعب التعقيد

1.6 التربية على التعقيد والهوية الأرضية واستعادة الإيروس التربوي:

تقودنا التحليلات السابقة إلى ضرورة طرح بديل تربوي يتجاوز ثنائية سلطة الأبوة وسلطة المؤثر، ويستوعب تعقيد الواقع الأسري الجزائري دون أن يبسّطه أو يختزله. وهنا يقدّم إدغار موران مساهمة أساسية، حين يدعو إلى تربية على التعقيد تستوعب اللايقين والتنوّع والتشابك، وتربط ما هو مفصول وتحترم المتنوّع مع الإقرار بالواحد، مراعية علاقة الكل بالأجزاء والعكس في إطار نسقي وتنظيمي (موران، 2012). ويتقاطع هذا المشروع التربوي مع ما طرحه باشلار من ضرورة القطيعة الإبستمولوجية بوصفها شرطاً للتجديد التربوي، إذ يؤكد أنه «لا يتعلق الأمر باكتساب ثقافة تجريبية جديدة، بل بتغيير الثقافة التجريبية ذاتها، بإزالة العقبات المتراكمة عبر الحياة اليومية» (Bachelard, 1934). فالمشروع التربوي المركّب لا يكتفي بإضافة مضامين جديدة إلى التربية الأسرية القائمة، بل يستدعي إعادة بناء البنية المعرفية للفعل التربوي ذاته.

إن المشروع التربوي المركّب لا يطلب من الأسرة أن تختار بين قيمها الموروثة والقيم الكوكبية الجديدة، بل يطلب منها أن تبني جسوراً بين الاثنتين. وفي هذا السياق، يصبح من المهمّ إدراج «الهوية الأرضية» في عملية التربية، إذ يذهب موران إلى أن الإنسان، بغض النظر عن جغرافيته وخصوصيته، يتوجّب عليه أن يعي الطابع الكوكبي لهويته المشتركة مع الآخرين، ويعدّ المصير الكوكبي للإنسانية الموضوع الأكثر غياباً عن برامج التعليم (موران، 2002). ولا يعني هذا التخلّي عن الجذور المحلية، بل العكس؛ فالأسرة الجزائرية مدعوّة إلى أن تربّي أبناءها على أن يكونوا جزائريين وعرباً ومسلمين وأبناء البشرية في الآن ذاته، دون أن يكون أحد هذه الانتماءات نقيضاً للآخر.

كما أن من أبرز ما يطرحه موران ضرورة استعادة «الإيروس التربوي»، أي ذلك الحب والشغف الذي يجعل التربية فعلاً وجودياً لا مجرد أداء إجرائي، إذ يمكن لحماس المربي لرسالته أن يكون له أثر حاسم في اكتشاف مواهب المتربّين وتنمية ميولهم **(Morin, 2014)**. وما يصدق على المعلم يصدق بصورة أعمق على الأب والأم، فلا يمكن لتربية أن تنجح إذا كانت تخلو من الشغف.

ولا يفهم الإيروس التربوي في السياق الجزائري بوصفه استيراداً لمفهوم وافد، بل بوصفه إعادة استكشاف لما كان حاضراً في التربية التقليدية ثم تراجع تحت ضغط التحولات البنيوية للأسرة. فالأسرة الجزائرية الممتدة كانت تنقل القيم عبر فضاء وجداني كثيف تتقاسمه الجدّة والأمّ والعمّة والخالة، فضاء يجعل من الحكاية والمثل والأهزوجة وسائط لتربية الحسّ قبل العقل. وقد أفضى الانتقال إلى الأسرة النووية إلى تقليص هذا الفضاء الوجداني، فصار الأب أمام مهمة لم يعدّ لها تاريخياً، وهي مهمة المرافقة العاطفية للأبناء بمعزل عن سند الأسرة الممتدة.

ومن هنا، فإن استعادة الإيروس التربوي تعني تحديداً استعادة قدرة الأب والأم على التعبير اللفظي والجسدي عن المحبّة، وتحرير الفعل التربوي من البرودة الإجرائية التي تختزله في الأمر والنهي، وإعادة الاعتبار للابتسامة والثناء والإصغاء بوصفها أفعالاً تربوية لا مجرد كماليات وجدانية. فالشغف، حين يغيب عن الأسرة، لا يتركها محايدة، بل يفتح المجال لشغف بديل يقدّمه المؤثر الرقمي بكفاءة عالية، ومن ثمّ فإن المعركة الحقيقية ليست على المحتوى وحده، بل على كثافة الحضور الوجداني الذي يميّز الفاعل التربوي ويمنحه شرعيته في عين المتربّي.

2.6 التربية على الفهم والتفكير المركّب وشروط المشروع التربوي:

ومن ركائز هذا المشروع التربوي أيضاً، تربية على الفهم بوصفه شرطاً أخلاقياً للعيش المشترك. فترسيخ ثقافة قائمة على الفهم المتبادل شرط أساسي لتحسين العلاقات بين البشر وتحقيق قدر أعمق من التحضّر الإنساني (Morin, 2014). وداخل

الأسرة الجزائرية، يفترض ذلك انتقالاً من ثقافة الأمر والطاعة إلى ثقافة الإصغاء المتبادل، ومن ثقافة المحظور المعلق إلى ثقافة النقاش المنفتح، دون أن يعني ذلك تخلياً عن المرجعيات القيمية الأساسية.

وفي هذا المنحى، يبرز دور الفلسفة بوصفها أداة لتربية النشء على التفكير المركّب، إذ تفتح آفاق التأمل في كافة المسائل الجوهرية التي تواجه الإنسان (موران، 2001). ولا يعني إدخال البعد الفلسفي في التربية الأسرية اشتراط أن يكون الآباء فلاسفة، بل تنمية ملكة التساؤل لدى الأطفال والاعتراف بحقهم في طرح الأسئلة المفتوحة .

كما أن من أهم ما يقترحه موران، استعادة دور المربّي بوصفه «قائد أوركسترا» لا مجرد ناقل للمعارف، إذ يتجسّد دوره في توجيه المتربّين ومرافقتهم في اكتشاف المعرفة، من خلال الحوار وتصحيح الأفكار وكشف أخطاء المعرفة ومخاطر الاختزال (Morin, 2014). وعلى الأب الجزائري أن يدرك أن دوره لم يعد دور القاضي والآمر، بل دور المرافق الذي يساعد الابن على التفكير الصحيح.

ويتقاطع هذا المشروع مع نظرية الاعتراف عند هونيث، إذ لا يكفي أن يحبّ الأب ابنه، بل لا بدّ أن يعبّر له عن ذلك؛ فالأشكال الثلاثة للاعتراف، الحب والحقوق والتضامن، توفّر الحماية الذاتية المشتركة التي تحمي شروط الحرية الداخلية والخارجية (Honneth, 1995). وفي الأسرة الجزائرية، يتطلب تجاوز ثقافة الصمت العاطفي، وفتح فضاءات للتعبير الحرّ عن المشاعر، خاصة بين الأب وأبنائه.

أما على المستوى البنيوي، فيقتضي المشروع التربوي المركّب الاعتراف بأن الأسرة لم تعد المؤسسة الوحيدة للتنشئة، وأن المدرسة والإعلام والفضاء الرقمي شركاء لا منافسون. ومن ثمّ ينبغي بناء تنسيق فعلي بين هذه المؤسسات، بدل النظر إلى التواصل بينها بمنظور الصراع. وحين نسقط هذه الرؤية على المعطى الجزائري الراهن، نلاحظ أن ما تحتاجه الأسرة ليس إصلاحاً تقنياً (كأن تمنع بعض المنصات أو تراقب)، ولا إصلاحاً أخلاقياً تبسيطياً (كأن تعاد محاضرات الوعظ)، بل إصلاحاً معرفياً يبدأ بإعادة النظر في طريقة التفكير ذاتها؛ فأبرز التحديات التربوية، كما يؤكّد موران، هي تغيير طرق التفكير

لمواجهة التعقيد المتصاعد والتحولات المتسارعة واللامتوقعة التي تميّز عصرنا (موران، 2002). **وفي هذا السياق، تكتسب القطيعة الإبستمولوجية عند باشلار أهمية خاصة، لأنها تدعو إلى تجاوز أنماط التفكير المألوفة والأحكام الجاهزة بوصفها شرطاً لتجديد المعرفة والممارسة التربوية** (Bachelard, 1934)، فالقطيعة الإبستمولوجية لا تقتصر على بعدها النظري، بل شرطاً ضرورياً لإعادة بناء الفعل التربوي على أسس قادرة على استيعاب تعقيد العصر.

ولا يتم تغيير طرق التفكير دون تكوين الآباء أنفسهم. فلا يمكن أن نطلب من الأب الجزائري أن يربّي أبناءه على التعقيد إذا كان هو نفسه لم يتعلّم التفكير المركّب. وهذا ما يستدعي الانفتاح على فكرة «التعليم المستمر للكبار»، الذي يتيح مراجعة المعارف وتحديثها وتعزيز التأمل الذاتي (Morin, 2014). والأسرة الجزائرية في حاجة، أكثر من أي وقت مضى، إلى مساحات للتكوين الوالدي تساعد الآباء على فهم أبنائهم، وعلى فهم منطق الفضاء الرقمي الذي يعيشون فيه.

ويمكن تلخيص ملامح المشروع التربوي المركّب في خمسة مبادئ متكاملة:

1. الاعتراف المتبادل بين أعضاء الأسرة بوصفه الشرط النفسي للتنشئة السليمة.
2. الحوار الأفقي بوصفه الشرط التواصلي لإعادة بناء الثقة بين الأجيال.
3. الربط بين الجذور المحلية والآفاق الكوكبية بوصفه الشرط الهوياتي لمواجهة العولمة، الذي يستلزم في السياق الجزائري الاعتراف بأن الإسلام بوصفه تقليداً استدلالياً (Asad, 1986) يشكّل إطار معنى لا يختزل في العادة ولا يلغى بالحداثة، بل يظل موضع تفاوض وتجديد داخل كل جيل.
4. التفكير المركّب بوصفه الشرط المعرفي لاستيعاب التعقيد.
5. الإيروس التربوي بوصفه الشرط الوجداني الذي بدونه تتحول التربية إلى أداء .بارد يخسر المنافسة أمام دفء المؤثر الرقمي المصطنع.

7. خاتمة

تنتهي هذه الدراسة إلى أن ما يجري داخل الأسرة الجزائرية المعاصرة لا يمكن قراءته بوصفه انهياراً للمنظومة القيمية، بل يستدعي إعادة توصيف بوصفه إعادة هيكلة لعلاقات القوة الأسرية تتجلى في انتقال التنشئة القيمية من احتكار سلطة الأبوة إلى تنافس مفتوح مع سلطة المؤثر الرقمي، وتصدّعاً متدرجاً في آليات الاعتراف، وانفراطاً للاحتكار التاريخي للأسرة في إنتاج الخطاب التربوي. وقد بيّنت المقاربة السوسيو-تربوية المركّبة، التي جمعت بين التحليل الفوكوي للسلطة، والقراءة البورديوية للهابيتوس والعنف الرمزي، ونظرية الاعتراف عند هونيث، وفكر موران في التعقيد التربوي، أنّ ما يبدو في الخطاب العام أزمة قيم هو في عمقه أزمة في الشروط البنيوية لنقل القيم، وأن الفجوة الملاحظة بين المنظومة القيمية المعلنة والممارسة الفعلية ليست عرضاً عابراً، بل نتيجة منطقية لتفكّك الوسائط التي كانت تضمن التطابق بينهما في النموذج التقليدي.

ويمكن إجمال أبرز النتائج المتوصل إليها فيما يأتي:

أولاً، أن انتقال سلطة الأبوة من نموذج السيادة إلى نموذج التفاوض لم ينتج وضعاً ثنائياً متّسقاً، بل أنتج وضعاً هجيناً يفقد فيه النموذج القديم فاعليته دون أن تكتمل بنية النموذج الجديد، مما يبقي الفاعلين التربويين في حالة من اللاتموضع الدائم.

ثانياً، أن سلطة المؤثر الرقمي تشتغل بمنطق معياري مختلف جذرياً عن منطق سلطة الأبوة؛ فهي لا تطلب الطاعة بل الأداء، ولا تفرض الاحترام بل تستدعي الإعجاب والمحاكاة، وتعتمد على القرب والألفة بدل المسافة والمهابة، مما يجعل المنافسة بين السلطتين غير متكافئة بنيوياً.

ثالثاً، أن المؤثر الرقمي لا ينشئ الأزمة من العدم بقدر ما يكشف الثغرات البنيوية المتراكمة في التنشئة الأسرية، وعلى رأسها الكبت التعبيري للعاطفة وضعف آليات الاعتراف بالأبناء بوصفهم ذواتاً قانونية ووجدانية؛ مما يعني أن الرهان الحقيقي ليس استعادة السلطة الأبوية بصيغتها القديمة، بل إعادة بناء الشروط الوجدانية التي تمنح هذه السلطة شرعيتها في عين المتربّى.

رابعاً، أن المشروع التربوي المركّب الذي تستدعيه الحالة الأسرية الجزائرية لا يقوم بوصفه برنامج عمل جاهز يقترح على الأسرة من خارجها، بل بوصفه أفقاً تحليلياً ينظّم خمسة شروط متلازمة: الاعتراف، والحوار، والتجذّر الهوياتي المنفتح على الكوكبية، والتفكير المركّب، والإيروس التربوي. وتفسّر هذه الشروط لماذا تنجح بعض الأسر في تحويل التحدي الرقمي إلى مورد تربوي، فيما تنزلق أخرى إلى ثنائية مرهقة بين الحنين إلى ماض لم يعد قائماً والاستسلام لحاضر لا تدرك منطقه الداخلي.

وبناء على ما تقدّم، تقترح الدراسة جملة من التوصيات: **(1)** استحداث برامج للتكوين الوالدي تساعد الآباء على فهم منطق الفضاء الرقمي وأنماط سلطته الجديدة بدل الاكتفاء بمنطق المنع والمراقبة؛ **(2)** تشجيع ثقافة التعبير العاطفي داخل الأسرة بوصفها خط الدفاع الأول أمام أشكال الاعتراف الرقمي البديلة؛ **(3)** بناء شراكة فعلية بين الأسرة والمدرسة والإعلام لتربية النشء على التفكير النقدي في المحتوى الرقمي؛ **(4)** إدماج التربية على الفهم والتفكير المركّب في المناهج التعليمية والخطاب التربوي الأسري.

وتفتح هذه النتائج، في حدود ما يسمح به التحليل النظري، آفاقاً بحثية لاحقة، أبرزها: التحقق الميداني الدقيق من فرضية إعادة هيكلة علاقات القوة الأسرية لا انهيارها؛ ودراسة الأنماط التفاضلية لأشكال الاعتراف داخل الفضاء البيتي الجزائري بحسب المتغيرات الطبقية والجغرافية والجيلية؛ وتحليل أنماط تلقّي الأطفال والمراهقين الجزائريين لخطاب المؤثرين الرقميين من زاوية سوسيولوجيا الممارسات اليومية لا من زاوية الخطاب المعلن. وعلى هذا النحو، تظل الأسرة الجزائرية موضوعاً نظرياً مفتوحاً، يقاوم كل اختزال، ويستدعي مقاربات مركّبة تضع التعقيد لا في موقع العائق المنهجي، بل في موقع الشرط الإبستمولوجي لفهم ما يجري داخل عتباتها.

8. قائمة المراجع

1.8 المراجع باللغة العربية:

بولحية، شهرزاد. (2016). التنشئة الاجتماعية في الأسر الجزائرية بين الماضي والحاضر. *مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية*، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، (17)، 53-62.

علي شريف، حورية، ومرزقلال، مريم. (2020). التنشئة الاجتماعية للأسرة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة: مقاربة سوسيوتاريخية. *مجلة سوسيولوجيا*، 129-147.

محبوبي، رشيدة، وبلعادي، إبراهيم. (2023). إدمان الإنترنت والاغتراب الاجتماعي للشباب الجزائري. *المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي*، 10(4)، 677-695.

موران، إدغار. (2001). *تحديات القرن الحادي والعشرين: تواصل المعارف العلمية* (ج 2) (ترجمة: حسين شريف). القاهرة – مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

موران، إدغار. (2002). *تربية المستقبل: المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل* (ترجمة: عزيز لزرق ومنير حجوجي). الدار البيضاء – المغرب: دار توبقال للنشر.

موران، إدغار. (2012). *هل نسير إلى الهاوية؟* (ترجمة: عبد الرحيم حزل). الدار البيضاء – المغرب: دار أفريقيا الشرق.

هابرماس، يورغن. (2010). *إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة* (ترجمة: عمر مهيبل). الجزائر: منشورات الاختلاف.

بورديو، بيار، وصياد، عبد الملك. (2023). *تفلاحث أو الفلاح الكامل* (ترجمة مصطفى سعداوي). *مجلة العمران البشري*، (2)2، 140–146.

2.8 المراجع باللغات الأجنبية:

Asad, T. (1986). *The idea of an anthropology of Islam*. Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University.

Boucherf, K. (2018). La jeunesse en Algérie : revue de littérature. In N.-A. Benhaddad, K. Boucherf, N.-E. Hammouda, & H. Souaber (Eds.), *La jeunesse algérienne : Vécu, représentations et aspirations* (pp. 29-74). Alger – Algérie : CREAD.

Bourdieu, P. (1980). *Le sens pratique*. Paris – France : Les Éditions de Minuit.

Bourdieu, P., & Passeron, J.-C. (1970). *La reproduction : Éléments pour une théorie du système d'enseignement*. Paris – France : Les Éditions de Minuit.
Foucault, M. (2003). *"Society Must Be Defended": Lectures at the Collège de France, 1975-1976* (D. Macey, Trans.). New York – USA: Picador.
Henane, A. (2022). Le rôle éducatif de la famille Algérienne en ère du changement social. *Revue El Hikma des Études Philosophiques*, 10(3), 1877-1900.
Honneth, A. (1995). *The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts* (J. Anderson, Trans.). Cambridge, MA – USA: The MIT Press.
Kemp, S. (2024, February 23). Digital 2024: Algeria. *DataReportal*. Retrieved from: https://datareportal.com/reports/digital-2024-algeria (consulté le 23/02/2024).
Lallem, L. (2021). Famille et société : évolution de la famille Algérienne. *Al-Jamie Journal*, 6(2), 1301-1314.
Mahmood, S. (2005). *Politics of piety: The Islamic revival and the feminist subject*. Princeton University Press.
Morin, E. (2014). *Enseigner à vivre : Manifeste pour changer l'éducation*. Arles – France : Actes Sud.
Snani, A. (2018). La famille algérienne et les nouvelles technologies : les avantages et les inconvénients. *El Tourath Review*, (29), 415-421.
Bachelard, G. (1967). *La formation de l'esprit scientifique: Contribution à une psychanalyse de la connaissance objective* (5e éd.). Paris: Librairie philosophique J. Vrin